شفاق
بالله وسنته وفي عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه بما حملهم على الخوف منه على جلاله ولا
من المواخذه بما لا يواخذ به غيرهم فهم في نص فهم مامورون لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
وُوخِذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذه بها واتوها على وجه التاويل
او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيه فان
الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل ومنه ذنب كل شيي اي اخره واذناب الناس
اراذلهم فكانت هذه ادنى افعالهم واسوا ما جرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزههم وعماره
بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله
واعظامه في السر والعلانية وغيرهم متلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون
هذه الامور الواقعة منهم عليهم الصلاة والسلام بالاضافة اليه كالحسنات في حقهم
على حد ما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى على احوالهم
كالسيات على ان العصيان هو الترك والمخالفة كيف ما كانت سهوا او تاويلا او للغفلة
الجهل فقوله عصى اي خالف كيف ما كانت وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والباب غوى حمل على انه اخطا ما كان طلبه من الخلود وخابت
امنيته بسبب اكلها وهذا يوسف ووُخِذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن وانه انسي ذكر الله تلك الايام
التي لبثها في السجن وقيل لصاحبه الي انه انسي ان يذكر يوسف للملك فقد قال
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن وهذا ما قال بعضهم نواخذ الانبيا
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده وتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاة الله بهم فيما اتوا به
من سوء الادب لا نخالف فعلى هذا يلزم ان تكون حالهم في المواخذه اسوا من حال
غيرهم وقد قررت ان حالهم ارفع من حال غيرهم لانا نقول هذا انما يتوجه لو كانت
مواخذتهم على حد مواخذة غيرهم وليس كذلك بل الذي نقوله انهم انما يواخذون بذلك
في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك فيها ليكون استشعارهم له سببا
لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك وان
له عندنا لزلفى وحسن ماب وقال لموسى بعد قوله تبت اليك اني اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى قوله وحسن ماب
وهذا ما اشار اليه بعض على الكلام بقوله هفوات الانبيا في الظاهر زلات
في الحقيقة زلف وكرامات على ان مواخذتهم على هذه الامور تشتمل على حكمة جليلة
المقدار بعينة المظاهر وهي تنبيهه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
غيرهم بمواخذتهم بذلك للمحذرو محاسبة النفس والتزام دوام الشكر على النعم وملازمة
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع لاهل هذا المنصب الرفيع المعصوم ولهذا قال ابن عطا

ابن

والسلام
الصلاه
لم يكن ما قص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزاده من نبينا عليه
فان قلت فقد اقررت بما سمعتنا التقرير عن جواز مواخذتهم عليهم الصلاة والسلام
بمثل السهو والتاويل والمباح وذلك مما لا يحتمل بعد ورود النص بعدم المواخذة عليه
كما يشهد به ان الله تجاوز لامتي الخطا والنسيان وما حدثت انفسها فيلزم بالضرورة ان
تكون حال الغير ارفع قلت اما اولا فقد تقرر لك بعد ان احوال الخواص في باب التكليف
انما تتبع خواصهم خصوصا ما خص به سيدهم اعدل شاهد على ذلك فلا يلزم من عدم
المواخذه باذكار نفيه حال منهم يواخذ ولا انحطاط حال من ووخذ لكن تلك المواخذه
سبب في نيل مقام لا يمكن الوصول اليه بدون تحمل المشاق والمجاهدات كما علمت انفا واما
ثانيا فانكم معاشر مجوزي الصغاير عليهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين تقولون
بعزات الصغاير باجتناب الكباير والاخلاف في عصمة الانبيا من الكباير فاجوزتموه
من وقوع الصغاير منهم يلزمه انها لا تقع الا وهي مغفورة فلا تتصور المواخذة بها
اذا عندكم ولا خوف الانبيا ولا توبتهم منها اذا فما كان جوابكم فهو جوابنا عن المواخذه
بافعال السهو والتاويل ولو لم يكن في استغفارهم وتوبتهم عليهم الصلاة والسلام الا
ملازمة مقام استدعا محبة الله وتجديد التوبة ان الله يحب التوابين ودوام الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير في اداء شكر نعمه تعالى على ما يشير اليه قول سيدهم
حين قام حتى تورمت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر افلا اكون عبدا شكورا لكان كافيا في مطلوبية ذلك منهم وما احسن قول الحارث
ابن اسد خوف الملايكه والانبيا خوف اعظام واجلال وتعبد لله لانهم معصومون امنون
على انهم المقتدى بهم والمتبعون في اقوالهم وافعالهم وساير احوالهم كذا هو تلخيص كلام
القاضي في الجواب الكل في وعندي فيه نظر فانه انما يتم على المعتزلة من مجوزي الصغاير
واما اهل السنه فغفران الصغاير باجتناب الكباير غير لازم عندهم بل محمول على المشيئة
بقرينة الاية الاخرى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والالزم ان تكون الصغاير في حكم
المباح الذي لا تبعة فيه ولا يعفو له عاقل فينا مما قال قلت هذه حجة مجوزي الصغاير
فاجبنا عنها قلت اعلم ارشدنا الله واياك الى ما يحبه ويرضاه ان فعله صلى الله
عليه وسلم والظاهر ان فعل عليه من بقيته ان يكون كذلك لا يكون محرما للعصمه ولا
مكروها لندرة صدوره من غالب اتقيا الامة فكيف بهم صلى الله عليهم وسلم اجمعين
وحينيذ فما كان منه جبليا كالقيام والاكل والشرب او مختصا به كزيادته في النكاح على
اربع نسوة فلا خفا في انتفا تعبدنا به وما كان منه بيانا لمجمل كقطعه عليه الصلاة والسلام
السارق من كوعه بيانا لاية السرقة فلا خفا ايضا في تعبدنا به وما كان منه مترددا
بين الجبلي والشرعي كالحج راكبا ففيه تردد العمل في الحاقه بالجبلي والشرعي كالحج راكبا
فقد تردد العمل في الحاقه بالجبلي لان الاصل عدم التشريع فلا نخاطب به ولا بالاستحباب

Copyright © King Saud University